eISSN: 2600-7096
V.6, Issue. 2, June 2022

THE DANGER OF UNBELIEF AND POLYTHEISM IN GOD IN THE LIGHT OF THE NOBLE QUR'ĀN[1]

Amal Nasser Fadhl
Ph.D student at Faculty of Islamic Sceinces, Al-Madinah International University
E-mail: TNEEM27@GMAIL.COM

El-Sayed Negm
Associate Professor in Faculty of Islamic Sceinces, Al-Madinah International University, Egypt.
E-mail: elsayed.negm@mediu.my

Bey Zekkoub Abdelali
Associate Professor in Faculty of Islamic Sceinces, Al-Madinah International University
57100, Taman Desa petaling, Kuala Lumpur, Malaysia.
E-mail: bey.zekkoub@mediu.edu.my

ABSTRACT

The research aims to clarify the danger of infidelity and polytheism in God - the Mighty and Sublime - in the light of the noble Qur'ān, and to clarify synonyms of infidelity, and the way the noble Qur'ān deals with its subject, and to identify its divisions and provisions, and to mention the models of infidelity that stated in the noble Qur'ān in the context of arguing with the infidels and refuting their falsehood, with an explanation of the reasons for falling In polytheism, and explaining its consequences in this world and the hereafter. The inductive and deductive approach was used in this research u. The research reached that the noble Qur'an pays great attention to combating infidelity, as there is no surah in the noble Qur'an that does not warn against unbelief and polytheism in God - the Mighty and Sublime - in different ways. The research also showed that infidelity is of many types. Some of it is a way out of the religion, and some of it is not a way out of the religion, but its owner is in great danger if he does not quit and repent from it before his death. The research clarified the means of eliminating infidelity and its causes, and clarifying its effects and severe consequences in this world and the hearafter.

Keywords: *Disbelief, polytheism, polytheists, the noble Qur'ān*

1 Research paper for purpose of Graduation

eISSN: 2600-7096
المجلد6، العدد 2، يونيو 2022م

خطورة الكفر والشرك بالله تعالى في ضوء القرآن الكريم [2]

آمال ناصر فضل
طالبة في جامعة المدينة العالمية بماليزيا

السيد نجم
أستاذ مشارك في قسم القرآن الكريم وعلومه بجامعة المدينة العالمية بماليزيا

باي زكوب عبد العالي
أستاذ مشارك في قسم القرآن الكريم وعلومه بجامعة المدينة العالمية بماليزيا

الملخّص

يهدف البحث إلى بيان خُطورة الكفر والشرك بالله -عَزَّ وجَلَّ- في ضوء القرآن الكريم، وبيان مترادفات الكفر، وطريقة تناول القرآن الكريم لموضوعه، والتعرف على أقسامه وأحكامه، وذكر نماذج الكفر التي قَصَّها القرآن الكريم في سياق محاجة الكفار ودحض باطلهم، مع توضيح أسباب الوقوع في الشرك، وبيان آثاره المترتبة عليه في الدنيا والآخرة، واستخدم البحث في سبيل ذلك المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، وخلص البحثُ إلى جملة من النتائج أهمها: اهتمام القرآن الكريم بمحاربة الكفر اهتمامًا بالغًا، فما مِن سورة في القرآن الكريم إلا وحَذَّرت من الكفر والشرك بالله -عَزَّ وجَلَّ- بأساليب مختلفة، وجادل القرآن الكريم الكُفَّار والمشركين بالحُججِ والبراهين القوية الدَّامغة لما هم عليه من الباطل، والأساليبِ المقنعة. كما بَيَّنَ البحث أنَّ الكفر أنواعٌ كثيرة؛ منها ما هو مخرج من الملة، ومنها ما هو ليس بمخرج من الملة ولكن صاحبه على خَطر عظيم إن لم يُقلع عنه ويَتُب منه قبل موته. وأوضحَ البحثُ وسائلَ القضاء على الكفر وأسبابه، وبيان آثاره وعاقبته الوخيمة في الدَّارَيْن .

الكلمات المفتاحيه: الكفر، الشرك، المشركين، القرآن الكريم

[2] مستلة علمية مقدمة لغرض التخرج.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

فأعظم نعمة أنزلها الله -عَزَّ وَجَلَّ- على العباد هي نعمة القرآن الكريم؛ الذي جعله الله -عَزَّ وَجَلَّ- هدى ونورًا وموعظة وشفاء لما في الصدور، وقد بَيَّنَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه كلَّ ما يحتاج إليه البشر؛ من أمور دينهم ودنياهم، وأوضح لهم أسبابَ النجاة في الدنيا والآخرة.

وأعظم ما أَوْلَاه القرآنُ اهتمامًا بالغًا هو موضوع الكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ فما من سورة في كِتابه مَكِّيَّة أو مدنية إلَّا وفيها ذِكر للكفر أو مترادفاته أو أسبابه أو ذم صفات الكافرين، أو عقوباتهم في الدنيا أو في الآخرة، بل ما أُنزلت الكتبُ ولا أُرسلت الرسلُ إلا لبيان خطر الكفر ووجوب إفراد الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالعبادة؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:36].

ومع عِظم أمر الكفر إلَّا أن مظاهره لا زالت موجودة، واستهان بأمره كثيرٌ حتى مِن المسلمين مَن قد يَقع في بعض صور الكفر الأصغر أو الأكبر وهو لا يَشعر؛ كمن يَدْعُون غيرَ الله -عَزَّ وَجَلَّ- عند القبور، مع أنَّهم يَقرؤون القرآن.

ولذلك جاء هذا البحث لبيان خطورة الشرك في القرآن الكريم، ولأهمية الموضوع وحاجة الناس الماسَّة إليه.

مشكلة البحث:

بيان خطورة الشرك في القرآن الكريم بكلِّ أقسامه، وأسبابه، وذكر نماذجه، والآثار المترتبة عليه في الدنيا والآخرة.

وجاء هذا البحث ليُجيب عن الأسئلة التالية:

س1/ ما المقصود بالكفر والشرك؟ وما مترادفاتهما؟

س2/ كيف تناول القرآن الكريم موضوع الكفر والشرك؟

س3/ ما أقسام الكفر، وحُكم كل قسم؟

س4/ ما نماذج الكفر الواردة في القرآن الكريم؟

س5/ ما أسباب وقوع الكفر؟

س6/ ما الآثار المترتبة على الشرك في الدنيا والآخرة؟

أهداف الدراسة:

1/ إبراز مفهوم الكفر بالله -عَزَّ وَجَلَّ- ومترادفاته؟

2/ بيان طريقة القرآن الكريم في تناول موضوع الكفر.

3/ التعرف على أقسام الشرك، وبيان أمثلته.

4/ ذكر نماذج للكفر أوردها القرآن الكريم.

5/ توضيح أسباب وقوع الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ.

6/ بيان الآثار المترتبة على الكفر في الدنيا والآخرة.

خطورة الكفر والشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ

أولًا: المعنى اللغوي:

جاءت لفظة الكفر في المعاجم اللغوية بمعنى التغطية والجحود، والزرع والستر، قال ابن منظور: "وأصل الكفر تغطية الشيء، وكَفرَ الرجلَ: نسبه إلى الكفر. وكل من ستر شيئًا، فقد كَفَرَهُ وكَفرَهُ. والكافر: الزارع لستره البذر بالتراب. والكفار: الزراع. وتقول العرب للزارع: كافر؛ لأنه يكفر البذر المبذور بتراب الأرض المثارة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: 20] سُمِّيَ الكافر كافرًا؛ لأنه ستر نعم الله عَزَّ وَجَلَّ"[3].

يقول الرازي: "والكفر ضد الإيمان، وجمع (الكافر): (كفارٌ) و(كَفَرَةٌ) و(كِفَارٌ)، وجمع الكافرة: (كَوَافِرُ)، والجمع كوافر -أيضًا- جحود النعمة وهو ضد الشكر، وقد كفره من باب دخل، وكُفْرانًا -أيضًا- بالضم، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ﴾ [القصص: 48]، أي: جاحدون"[4].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

عَرفه الرَّاغب الأصفهاني بقوله: "الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، أو ثلاثتها"[5].

وعرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية: "الكفر عدم الإيمان بالله ورسله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب، أو إعراض عن هذا كله حَسدًا أو كِبرًا، أو اتباعًا لبعض الأهواء

---

[3] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، باب الكاف، ج5، ص: 145- 147.

[4] الرازي، **مختار الصحاح**، ط4، باب ك ف ر، ص٢٧١.

[5] الراغب، **المفردات**، ط1، باب كفر، ص: ٧١٤، ٧١٥.

الصارفة عن اتباع الرسالة"[6].

وعرفها ابن حزم الظاهري: "جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم، ما صَحَّ عند جاحده بنقل الكافة، أو عمل شيءٍ قام البرهان بأن العمل به كفر"[7].

وجاء عن الإمام الرازي في تعريفه للكفر قوله: "الكفر عدم تصديق الرسول في شيءٍ مما علم بالضرورة مجيئه به"[8].

ومثل له الإمام الرازي كمَن أنكر نبوة محمد صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم، أو أنكر صحة القرآن، أو أنكر وجوب الصلاة والزكاة، فإنه داخل في الكفر؛ لأن هذه معلومة بالضرورة أنها من دين محمد صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم.

وعرفه ابن القيم فقال: "الكفر جَحْدُ ما عُلم أنَّ الرسول جاء به، سواءٌ كان من المسائل التي تسمونها علميةً أو عمليةً، فمَن جحد ما جاء به الرسول –صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم– بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافرٌ في دقِّ الدين وجله"[9].

وعرَّفه الشيخ عبد الرحمن السعدي: "وحدُّ الكفر الجامع لجميع أجناسه، وأنواعه، وأفراده، هو جحد ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم، أو جحد بعضه، كما أنَّ الإيمان اعتقاد ما جاء به الرسول –صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم– والتزامه جملة وتفصيلًا، فالإيمان والكفر ضدان متى ثبت أحدهما ثبوتًا كاملًا، انتفى الآخرُ"[10].

لفظ الكفر في القرآن:

وردت مادة (كفر) في القرآن الكريم: خمسمائة وأربع مرات[11].

والصيغ التي وردت هي:

ورد بصيغة الفعل الماضي مائتان وثلاثون مرة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ

---

[6] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ط3، ج12، ص335.

[7] ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، د. ط، ج3، ص118.

[8] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط1، ج2، ص35.

[9] الموصلي، **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، ط1، ص٥٩٦.

[10] السعدي، **الإرشاد إلى معرفة الأحكام**، ط1، ص203.

[11] انظر: جلغوم، **المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم**، ص: ١٠٢٣– ١٠٣٣.

سُلَيْمَانُ ﴾ [البقرة: 102]، وقوله تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر: 14].

وبصيغة الفعل المضارع سبع وخمسون مرة؛ كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28].

وبصيغة الفعل الأمر مرتان، كقوله تعالى: ﴿ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [آل عمران: 72].

وبصيغة المصدر سبعة وثلاثون مرة: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ [البقرة: 108].

وبصيغة المصدر السماعي خمس عشرة مرة، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: 32].

وبصيغة اسم الفاعل مائة وثماني وخمسون مرة، كقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: 254].

وبصيغة المبالغة خمس مرات؛ كقوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [ق: 24].

وجاء الكفرُ في القرآن على خمسة أوجه[12]:

الأول: الإنكار، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: 6] يعني: أنكروا توحيد الله عَزَّ وجَلَّ.

الثاني: كفران النعمة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152]، يعني: لا تكفروا النعمة.

الثالث: البراءة، ومنه قول الشيطان: ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: 22]، يعني: إني تبرأت.

الرابع: الجحود، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 89]، يعني: جحدوا به.

الخامس: التغطية، ومنه قوله تعالى: ﴿... كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً...﴾ [الحديد: 20]، يعني: الزُّرَّاع الذين يغطون الحَبَّ.

---

12 انظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر**، ط1، ص: ٥١٦، ٥١٧.

الألفاظ المترادفة للكفر:

وقد يأتي الكفر بألفاظٍ أخرى تدل على نفس المعنى:

أولًا: الشرك:

المعنى اللغوي:

شرك: قال ابن فارس: "الشين والراء والكاف أصلان؛ أحدهما يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة، فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانًا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانًا، إذا جعلته شريكًا لك، قال الله –جَلَّ ثناؤه– في قصة موسى: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 32]"[13]، وقد جاء بمعنى المخالطة[14].

المعنى الاصطلاحي:

اختلفت عبارات العلماء في بيان معنى الشرك في الدين، وإن كانت هذه العبارات تكمل بعضها الأخرى.

الشرك هو: "تشبيه للمخلوق بالخالق –تعالى وتقدس– في خصائص الإلهية، من ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل وأنواع العبادة كلها بالله وحده"[15].

وعرفه ابن السعدي –رحمه الله– قال: "هو أن يجعل لله نِدًّا يدعوه كما يدعو الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعًا من أنواع العبادة"[16].

وقال أيضًا: "حقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية"[17].

وعرفه عبد المحسن قاسم بقوله هو: "دعوة غير الله معه"[18]، أو هو: "مساواة غير الله باللهِ فيما

---

[13] ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ط1، مادة شرك، ج3، ص265.

[14] انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، فصل الشين المعجمة، ج10، ص448.

[15] آل الشيخ، **تيسير العزيز الحميد**، ط1، ص91.

[16] السعدي، **القول السديد في مقاصد التوحيد**، ص24.

[17] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، ج2، ص499.

[18] القاسم، **تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول**، ط1، ص٤٩.

هو من خصائص الله عَزَّ وجَلَّ"[19].

وعرَّفه أ. د/ سعد عاشور بأنه: "اتخاذ النِّدِّ مع الله تعالى، سواء أكان هذا في الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات؛ أي: جعل شريك مع الله في التوحيد"[20].

ولعل التعريف الأخير هو الجامع لكل معاني الشرك.

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

المعنى الاصطلاحي يتجه إلى المعنى الأول من المعاني اللغوية؛ إلا أنه يخص بجعل الشريك مع الله عَزَّ وجَلَّ.

وجاء الشرك في الاستعمال القرآني على ثلاثة أوجه[21]:

الأول: الإشراك بالله: وهو أن يعدل به غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا..﴾ [النساء: 36]، أي: لا تعدلوا به شيئًا سواه.

الثاني: الشرك في الطاعة من غير عبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُون﴾ [الأعراف: 190]، أي: جعلا إبليس شريكًا مع الله سبحانه.

الثالث: الرياء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، يعني: ولا يرائي.

ثانيًا: الإلحاد:

المعنى اللغوي:

مادة (ل ح د) تدل على معنى ميل عن استقامةٍ، فيقال: (لحد السهم عن الهدف)، أي: عدل عنه، واللحد: حفرة مائلة عن الوسط، وفلان عدل عن الحق وأدخل فيه ما ليس منه، ويقال: ألحد إليه، مال عنه، وألحد الرجل؛ أي: ظلم في الحرم واستحل حرمته وانتهكها، ولحد الرجل في الدين: طعن وحاد عنه وعدل وجادل وماری، ولحد؛ أي: مال عن طريق القصد، وجار وظلم[22]. والملحد: "الطاعن في الدين

---

[19] القاسم، **تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول**، ط1، ص50.

[20] عاشور، **التبيان شرح أركان الايمان**، ط4، ص١٤٨.

[21] انظر: سليمان، **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، د. ط، ص: ٢٦، ٢٧، والدامغاني، **الوجوه والنظائر**، ط3، ص٢٨٢.

[22] انظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، د. ط، باب اللام والحاء وما يثلثهما، ج5، ص190، والرازي، **مختار الصحاح**، ط6، باب اللام، ص٢٤٧، وابن منظور، **لسان العرب**، ط5، باب اللام، ج3، ص338، والفيومي، **المصباح المنير**، د. ط، باب ل ح ح، ألح، ص٣٢٧.

المائل عنه"[23].

المعنى الاصطلاحي:

هو: "الميل، والجور، والانحراف عن الإسلام، أو الإيمان"[24].

وقد عرَّفه ابن عاشور بقوله: "لما كان وسط الشيء يشبه به الحق والصواب، استتبع ذلك تشبيه العدول عن الحقّ إلى الباطل بإلحادٍ، فأطلق الإلحاد على الكفر والفساد"[25].

والمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي إلا أنه خص بالانحراف في الإسلام.

أنواع الكفر:

أولًا: الكفر الأكبر المخرج من الملة: وهو خمسة أنواع[26]:

النوع الأول: كفر التكذيب، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: 68] أي: "ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا بأن زعم أن له شريكًا، أو كذَّب بالحق لما جاءه؛ يعني: الرسول أو الكتاب، أليس في جهنم مثوى للكافرين؛ أي: موضع إقامة، جزاء افترائهم وكفرهم. بلى"[27].

النوع الثاني: كفر الإباء والاستكبار مع التصديق: والدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: 34].

وظهر ذلك الكفر والاستكبار في إبليس، حين أمر الله –عَزَّ وجَلَّ– الملائكة "بالسجود لآدم; إكرامًا له وتعظيمًا; وعبودية لله تعالى، فامتثلوا أمر الله; وبادروا كلهم بالسجود، ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ امتنع عن السجود، واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: ﴿قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: 61].

وهذا الإباء منه والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطو عليه; فتبينت حينئذ عداوته لله ولآدم وكفره واستكباره"[28].

---

[23] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، د. ط، باب اللام، ج2، ص 850.

[24] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ط2، ج9، ص 172.

[25] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، د. ط، ج9، ص189.

[26] انظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، ط3، ج1، ص: 335- 338.

[27] القاسمي، **محاسن التأويل**، ط1، ج7، ص565.

[28] السعدي، **تفسير الكريم المنان**، ط1، ص48.

النوع الثالث: كفر الشك، وهو كفر الظن: والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: 35- 38].

يقول الشنقيطي: "وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ بعد قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ يدل على أن الشك في البعث كفرٌ بالله تعالى. وقد صرح بذلك في أول سورة الرعد في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدون﴾ [الرعد: 5]"[29].

النوع الرابع: كفر الإعراض: والدليل قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُون ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: 3].

"أعرضوا بعدما قامت عليهم الحجة بخلق الله السماوات والأرض، ثم طالبهم بالدليل على عبادة الأوثان فقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِين﴾ [الأحقاف: 4]"[30].

النوع الخامس: كفر النفاق: والدليل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُون﴾ [المنافقون: 3].

وكفر النفاق هو "ما كان بعدم تصديق القلب وعمله مع الانقياد ظاهرًا رئاء الناس؛ ككفر ابن سلول وحزبه، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِين ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُون ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون﴾ [البقرة: 8- 10]"[31].

[29] الشنقيطي، **أضواء البيان**، ط 1، ج3، ص277.

[30] الواحدي، **الوجيز**، ط1، ص993.

[31] الحكمي، **أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**، ط2، ص98.

ثانيًا: الكفر الأصغر:

تعريف الكفر الأصغر: "هو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر، مع بقاء اسم الإيمان على عاملها"[32]؛ فهو معصية عملية لا تخرج عن أصل الإيمان، وإنما توجب لصاحبها الوعيد بالنار، دون الخلود فيها، وسُميت كفرًا لأنها من خصال الكفر[33].

أشهر أنواع الكفر الأصغر[34]:

للكفر الأصغر أنواع متعددة ضابطها ما تقدَّم في التعريف: كلُّ معصيةٍ أطلق الشارعُ عليها اسم الكفر، مع بقاء اسم الإيمان على عاملها.

وبيان بعض هذه الأنواع في التالي:

أولًا: كفر النعمة:

وهو نسبة النعم التي أنعم اللهُ -عَزَّ وجَلَّ- بها علينا إلى غير المنعم عَزَّ وجَلَّ، أو استعمالها في غير مرضاة الله؛ كالإسراف، والتبذير، وشراء المحرَّمات، أو إعطاء النعم لمن نهانا ربنا عَزَّ وجَلَّ عن إعطائهم؛ كالسفهاء من الصبيان وغيرهم؛ قال تعالى: ﴿ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾ [النساء: 5].

من الأدلة على كفر النعمة:

1- قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُون﴾ [النحل: 112]. قال ابن كثير: "أي: جحدت آلاء الله عليها، وأعظم ذلك بعثة محمد -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم- إليهم"[35].

2- قول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُون﴾ [النحل: 83]، فهؤلاء عرفوا نعمَ الله عَزَّ وجَلَّ، وعرفوا أنَّ الله هو المنعم عليهم بها؛ ولكنهم جحدوها، وزعموا أنهم ورثوها كابرًا عن كابر[36].

---

[32] انظر: الحكمي، **أعلام السنة المنشورة**، ط2، ص149.

[33] انظر: ابن القيم، **مدارج السالكين**، ط3، ج1، ص346، وابن حجر، **فتح الباري**، ج1، ص: 83- 85.

[34] انظر: صوفي، **المفيد في مهمات التوحيد**، ط1، ص184.

[35] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج4، ص608.

[36] انظر: الطبري، **جامع البيان**، ط1، ج7، ص629، وابن عثيمين، **القول المفيد على كتاب التوحيد**، ط2، ج2، ص: 201، 202.

3- قصة الثلاثة: الأبرص، والأقرع، والأعمى، الذين أنعم الله عليهم بإصلاح حالهم وبالمال؛ فجحد اثنان منهم نعمة الله، وقالا: إنما ورثنا هذا المال كابرًا عن كابر. واعترف الأعمى بنعم الله، وقال: قد كنتُ أعمى، فردَّ الله إليَّ بصري، فقال له الملكُ: أمسكْ مالكَ، فإنما ابتليتم، فقد رضي اللهُ عنكَ، وسخط على صاحبيك[37].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ معلقًا على هذا الحديث: "وهذا حديثٌ عظيم، وفيه معتبر؛ فإن الأَوَّلَيْنِ جحدَا نعمةَ الله، فما أقرا لله بنعمة، ولا نسبَا النعمة إلى المنعم بها، ولا أَدَّيَا حقَّ الله؛ فحلَّ عليهما السخط؛ وأمَّا الأعمى فاعترف بنعمة الله، ونسبها إلى مَن أنعم عليه بها، وأدَّى حق الله فيها؛ فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة التي لا يقوم الشكرُ إلا بها، وهي: الإقرار بالنعمة، ونسبتها إلى المنعم، وبذلها فيما يجب"[38].

ثانيًا: الطعن في الأنساب والنياحة على الميت:

والطعن في الأنساب هو: عيب النسب، والطعن فيه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: 1]. "قال قتادة ومجاهد: الهُمزة: الطَّعان في الناس، والهمزة: الطعان في أنسابهم"[39].

والنياحة على الميت: رفعُ الصوت بندب الميت، وتعداد فضائله.

وهما من أنواع الكفر العملي؛ لما فيهما من مشابهة صنيع الكفار في الجاهلية قبل الإسلام[40].

ومن الأدلة عليهما:

1- قول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»[41].

فهاتان الخصلتان بالناس كفر؛ لأنهما من أعمال الجاهلية، "وهما قائمتان بالناس، ولا يَسْلم منهما إلا مَن سلمه الله عَزَّ وجَلَّ"[42].

---

[37] انظر: أخرج الحديث بطوله، البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ط1، ج4، ص171، رقم (3464). ومسلم في **صحيح مسلم**، كتاب الزهد والرقائق، د. ط، باب رقم 10، ج4، ص2275 برقم (2964).

[38] آل الشيخ، **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، ط1، ص636.

[39] القرطبي، **تفسير القرطبي**، ط2، ج20، ص182.

[40] انظر: آل الشيخ، **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، ط1، ص520.

[41] مسلم، في **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، د. ط، ج1، ص82 برقم (67).

[42] انظر: آل الشيخ، **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، ط1، ص520.

يقول الإمام النووي في معنى قوله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: «هما بهم كفر»: "فيه أقوال أصحها أن معناه: هما من أعمال الكفار وأخلاق الجاهلية"[43]. فلهذا عَدَّهما العلماءُ من جنس الكفر العملي.

2- قول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: «ليس منا مَن ضرب الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»[44]، وقد ذكر رسول الله -صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم- هذه الأصناف الثلاثة؛ لأنها غالبًا ما يفعلها الناس عند نزول المصائب، وهي من التسخط المنهي عنه، وفيها إظهار عدم الرضا بقدر الله، أو الصبر على قضائه. ودعوى الجاهلية هي: النياحة، وندبة الميت، والدعاء بالويل وشبهه[45]. فهذه من أعمال الكفَّار في الجاهلية قبل الإسلام، من أجل هذا عَدَّها العلماء من جنس الكفر العملي.

ثالثًا: قتال المسلم:

لقوله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: «سِبابُ المسلم فسوق، وقتاله كُفْر»[46]، وقوله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: «لا ترجعوا بعدي كفَّارًا؛ يضرب بعضكم رقاب بعض»[47].

فهذا النوع من الكفر غير مخرج من الملة باتفاق الأئمة؛ لأنهم لم يفقدوا صفات الإيمان؛ لقول الله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: 9].

رابعًا: كفران العشير والإحسان:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: «أريت النار؛ فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن»، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالتْ: ما رأيتُ خيرًا قط»[48].

---

[43] النووي، **شرح النووي على صحيح مسلم**، ط2، ج2، ص57.

[44] البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، ط1، ج2، ص81، برقم (1294). ومسلم، **في صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود. د. ط، ج1، ص99، برقم (103).

[45] انظر: شرح النووي على **صحيح مسلم**، ط2، ج2، ص 110.

[46] أخرجه البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ط1، ج1، ص19، برقم (48).

[47] أخرجه البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا ترجعوا بعدي كفارًا»، ط1، ج9، ص50، برقم (7077).

[48] أخرجه البخاري في **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب كفران العشير، وكفر بعد كفر، ط1، ج1، ص15، برقم (29).

خامسًا: الحلف بغير الله تعالى:

لقوله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: «مَن حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك»[49].

سادسًا: الانتساب إلى غير الأب:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا ترغبوا عن آبائكم؛ فمَن رغب عن أبيه فهو كفر»[50]. وقال صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه –وهو يعلمه– إلا كفر، ومَن ادعى قومًا ليس له فيهم نسب؛ فليتبوأ مقعده من النار»[51].

وأنواع الكفر الأصغر كثيرة يتعذَّر حصرها؛ فكل ما جاءت به النصوص الشرعية من تسميته كفرًا، ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو الفسق الأكبر، أو الظلم الأكبر؛ فهو كفر أصغر[52].

نماذج لصور الكفر الواردة في القرآن الكريم:

أ- كفر والد إبراهيم عليه السَّلامُ:

لقد حاجَّ إبراهيم –عليه السَّلامُ– والده فيما كان يعبد من دون الله عَزَّ وجَلَّ، بأرقى خطاب يخاطب به الولدُ أباه، ويقيم عليه الحجة في بطلان ما يعبد من دون الله عَزَّ وجَلَّ، وأنها لا تستحق العبادة؛ لأنها ناقصة من كل وجهٍ، لا تسمع ولا تبصر، فلو كانت آلهة لنفعتْ نفسها أولًا فكانت سميعة بصيرة، فكيف لها أن تنفع داعيها؟!

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ

---

[49] أخرجه الترمذي، في **سنن الترمذي**، كتاب الأيمان والنذور، باب كراهية الحلف بغير الله، ط2، ج4، ص110، برقم (1535)، وصححه الألباني **في صحيح سنن الترمذي**، د. ط، ج2، ص99.

[50] أخرجه البخاري، **في صحيح البخاري**، كتاب الفرائض، باب مَن ادعى إلى غير أبيه، ط3، ج6، ص 2485، برقم (6386).

[51] أخرجه البخاري، **في صحيح البخاري**، باب من ادعى إلى غير أبيه، كتاب المناقب، ط3، ج3، ص 1292، برقم (3317).

[52] انظر: الأثري، **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة**، ط1، ج1، ص252.

كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلاَّ أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: 41-48].

"فقد أقام الحجة في هذا المقام، ببيان معالم العجز التفصيلية في آلهة أبيه، والمقتضية ممن له مسحة عقل، وملحة رشد أن يتبرأ من عبادتها؛ فهي عاجزة عن السمع لمن ناداها، عمياء عن رؤية من تقرب إليها وتولاها، ولا تغني شيئًا عمن استجداها، وما هي في حقيقتها إلا عبادة للشيطان، ومعصية للرحمن، وموالاة للعدو الأول للإنسان، فماذا كانت حجة الوالد؟! التهديد والوعيد، والطرد المديد، وهذه حجة مَن بغى وطغى، ليس فيها حقٌّ ولا هدى"[53].

ب- كفر قوم إبراهيم عليه السَّلامُ:

دعا إبراهيم -عليه السَّلامُ- قومه إلى ترك عبادة الأصنام التي كانوا يعكفون عليها ويدعونها من دون الله عَزَّ وجَلَّ، ودعاهم إلى توحيد الله عَزَّ وجَلَّ في العبادة، وترك اعتقاد تأثير النجوم في الكون ومقادير العباد، وخوَّفه قومه من أن تصيبه الأصنام بمكروهٍ بسبب ذِكره الأصنام بسوء؛ يقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 80- 83].

أعطى الله -عَزَّ وجَلَّ- إبراهيم -عليه السَّلامُ- الحجة في كل موطن؛ فكان الأعلى دائمًا على من وقف أمامه، وقد عجز قومه عن إقامة الدليل على صحة ما يعتقدونه؛ فلجئوا إلى أسلوب الإرهاب والتخويف بآلهتهم، فجاءهم الجواب من إبراهيم -عليه السَّلامُ- بأن الله -سبحانه وتعالى- قد هداه، فهو على غير شاكلتهم، لا يخاف إلا أن يقضي الله -جَلَّ جَلالُه- أمرًا أراد به أن يهلك أحدًا من خلقه، ولو أنهم كانوا يعقلون؛ لعلموا أن الله -عَزَّ وجَلَّ- وحده هو الذي يستحق أن يخشى بالغيب.

أمَّا آلهتهم فليس هناك أدنى مبرر للخوف منها، فعلى الأقل هي لا تسمع؛ فهي صمَّاء، ولا تبصر؛ فهي عمياء، ولا تنطق؛ فهي بكماء، ولا تعقل؛ فهي بهماء، ولا تتحرك؛ فهي شلاء، ولا تعبر لأنها عجماء، فلا علمَ لها بأي شيء، ولم يمنحها الله -جَلَّ جَلالُه- القدرة على أي فعل مما يحذرون، والله -سبحانه وتعالى- هو السميع البصير، حكيم في أفعاله وأوامره ونواهيه، عطاؤه كلام، ومنعه كلام، وخلقه

[53] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، ص٤٩٤.

كلام، يفعل ما يشاء بقدرته، ويقضي ما يريد بحكمته، عالم الغيب والشهادة، وهو الرحمن الرحيم، فمَن الذي يستحق أن ينطبق عليه وصف الخوف؟! الذي آمن بالله -جَلَّ جَلالُه- وكفر بكل إله سواه، أم من كفر بالله واتخذ من الأصنام والنجوم إلهًا؟[54].

فمن هو الأولى بالأمن النفسي والحسي؟! وألَّا تعتريه المخاوف؟ أليس ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون﴾ [الأنعام: 82] هم الأحق بالأمان والهدى التام في الدنيا والآخرة؟!

ج- كفر قوم نوح عليه السَّلامُ:

أوائل المشركين كما قال شيخ الإسلام: صنفان: قوم نوح وقوم إبراهيم؛ فقوم نوح أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر[55].

وقد كانت الأصنام في زمن نوح -عليه السَّلامُ- صورًا لصالحين ماتوا؛ كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عبدت"[56].

قال الله -عَزَّ وجَلَّ-: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلاَلاً ﴿٢٤﴾﴾ [نوح: 21- 24]، أي: إنهم عصوني فيما أمرتهم به، وأنا أنصحهم وأدلهم على الخير، واتبعوا الملأ والأشراف الذين لم تزدهم أموالهم وأولادهم إلا هلاكًا وتفويتًا للأرباح، ومكروا مكرًا كبيرًا بالغًا في معاندة الحق، فدعوهم إلى التعصب إلى دين آبائهم وأجدادهم القائم على الشرك، قائلين لهم: لا تتركوا وَدًّا، ولا سواعًا، ولا يغوث ويعوق ونسرًا. مع أن هذه الأسماء كانت لرجالٍ صالحين فيهم، فلما ماتوا زينها الشيطانُ لهم، وقد أضل هؤلاء الكبار والرؤساء بدعوتهم هذه كثيرًا من الخلق، فلا يزيدون بدعوة هؤلاء

---

[54] انظر: الطبري، **جامع البيان**، ط1، ج11، ص488.

[55] انظر: ابن تيمية، **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ط1، ص22، وابن تيمية، **الرد على المنطقيين**، د. ط، ص: 285، 286.

[56] أخرجه البخاري، في **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب {وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ..} [نوح: 23]، ط1، ج6، ص160، برقم (4920).

الرؤساء إلا ضلالًا، فيا رب، لم يبق هناك مجالٌ ولا محل لنجاحهم وصلاحهم[57].

كما قال في موضع آخر شاكيًا أيضًا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ [الشعراء: 117]. فلم يبق بيني وبينهم أي ائتلاف وارتباط، حيث كذبوني بجميع ما جئتُ به من عندك تكذيبًا شديدًا، وسَفَّهوني تسفيهًا بليغًا، فلم يكتفوا عند هذا الحدِّ، بل عمدوا إلى قتلي بأشد العذاب وأقبح العقاب، فقد هددوني بالرجم[58].

عاقبة الكفر والشرك في الدنيا والآخرة:

أولًا في الدنيا:

أ- خذلان المعبودات من دون الله لعابديها في شدائد الدنيا:

ما من شكٍّ أنَّ كل من تعلَّق بغير الله عَزَّ وجَلَّ، يخذله أحوج ما يكون إليه، فهذه الآلة التي افتروها وعبدوها من دون الله عَزَّ وجَلَّ، لم تنفعهم في سرائهم، فكيف تنفعهم في ضرائهم؟! وإذا عجزت عن دفع ضرها، فكيف تدفع ضر عابديها؟! يقول الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ [الإسراء: 67- 69].

وفي هذه الآيات يقول تعالى ذكره: وإذا نالتكم الشدة والجهد في البحر فقدتم مَن تدعون من دون الله من الأنداد والآلهة، ولم تجدوا غير الله مغيثًا يغيثكم إذا دعوتموه، فلما دعوتموه وأغاثكم، وأجاب دعاءكم ونجاكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أعرضتم عما دعاكم إليه ربكم من خلع الأنداد والأوثان، والبراءة من الآلهة، وإفراده بالألوهية؛ كفرًا منكم بنعمته، وكان الإنسان كفورًا ذا جحد لنعم ربه، ثم يقول تعالى ذكره: أفأمنتم أيها الناس من ربكم، وقد كفرتم نعمته بتنجيته إياكم من هول ما كنتم فيه في البحر، أن يخسف بكم ناحية البر، أو يرسل عليكم حَاصبًا، ثم يقول: أو يمطركم بحجارة حارة من السماء تقتلكم، كما فعل بقوم لوط، ثم لا تجدوا لكم وكيلًا، ثم يقول: ثم لا تجدوا لكم ما يقوم بالمدافعة عنكم من عذابه وما يمنعكم منه، أم أمنتم أيها القوم من ربكم، وقد كفرتم به بعد إنعامه عليكم، النعمة التي قد علمتم أن يعيدكم في البحر تارة أخرى، فيرسل عليكم قاصفًا من الريح، وهي التي تقصف ما مرت به فتحطمه

57 انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، ص٨٨٨، والجاوي، في **مراح لبيد**، ط1، ج2، 566.

58 انظر: النخجواني، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية**، ط1، ج2، ص47.

وتدقه، فيغرقكم الله بهذه الريح القاصف بما كفرتم، ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعًا، ثم لا تجدوا لكم علينا تابعًا يتبعنا بما فعلنا بكم، ولا ثائرًا يثأرنا بإهلاكنا إياكم[59].

ب- حرمانهم من الهداية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا﴾ [النساء: 137].

فهذا الكافر أصرَّ على الضلال والبُعد عن الهداية، فهو بعيدٌ من التوفيق والهداية لأقوم الطريق، وبعيدٌ من المغفرة لكونه أتى بأعظم مانع يمنعه من حصولها. فإن كفره يكون عقوبة وطبعًا لا يزول، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ...﴾ [الصف: 5]، فهم عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به؛ أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾ [الأنعام: 110][60].

ج- ضيق الصدر وحرجه الشديد:

فالكافر ضيِّق الصدر، لا يستطيع أن يدخل التوحيد ومعاني الإيمان إلى قلبه، فهو في حرجٍ شديدٍ وضيقٍ، عاجز عن ذلك كعجزه عن الصعود إلى السماء، وإنما سُلط الشيطان عليه لإغوائه؛ لأنهم: ﴿...فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ...﴾ [الصف: 5].

ويقول تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون﴾ [الأنعام: 125].

فقوله سبحانه: ﴿فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾ [الأنعام: 125] أي: ييسره له وينشطه ويسهله لذلك، فهذه علامات على الخير، فالهداية للإيمان تشرح الصدر وتفسحه وتوسعه للتوحيد، وبضد ذلك: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون﴾ [الأنعام: 125].

وهو الذي لا يتسع لشيءٍ من الهدى، ولا يخلص إليه شيء من الإيمان ولا ينفذ فيه، وقال عطاء

---

[59] انظر: الطبري، **جامع البيان**، ط1، ج17، ص498.

[60] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، ص209.

الخراساني: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ أي: ليس للخير فيه منفذ، وقال ابن المبارك: ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ بلا لا إله إلا الله حتى لا تستطيع أن تدخل قلبه، ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ من شدة ذلك عليه[61].

د- وقوع اللعن عليهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُون [البقرة: 88]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب: 64].

فهؤلاء الكفار مطرودون ملعونون بسبب كفرهم، فقليل المؤمن منهم، أو قليل إيمانهم، وكفرهم هو الكثير، فهو مبعدون من رحمة الله[62]، وأعدَّ لهَم في الآخرة نارًا موقدة شديدة الحرارة[63].

هـ- العقوبة العاجلة في الدنيا:

الكفر مستوجب لحصول العقوبة العاجلة على الكفار في الدنيا، بل وربما أصابهم العذاب المستأصل الذي لا يبقي منهم أحدًا؛ يقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُون﴾ [النحل: 112].

كان أهلها آمنون لا يحتاجون للانتقال والسفر بسبب الخوف من العدو، مطمئنة لا يزعجها خوف، قارَّة بأهلها، يأتيها رزقها الوافر رغدًا -أي: هنيئًا سهلًا واسعًا برًّا وبحرًا- بتيسير الله تعالى من سائر البلاد، فكفر أهلها بنعم الله، وطغوا وبطروا وجحدوا أنعم الله؛ فعمَّهم الله بالجوع والخوف، وبدلوا بأمنهم خوفًا، وبغناهم جوعًا وفقرًا، وبسرورهم ألمًا وحزنًا، وذاقوا مرارة العيش بعد سعته، بسبب أفعالهم المنكرة.

وجاءهم رسول من جنسهم، فكذبوه فيما أخبرهم به من أنه رسول إليهم، مُبلِّغ عن ربه بأن يعبدوه ويطيعوه ويشكروه على النعمة، وتمادوا في كفرهم وعنادهم، فعُذِّبوا بعذاب الاستئصال الشامل، حال كونهم ظالمين أنفسهم بالكفر وتكذيب الرسل، متلبسين بالظلم: وهو الكفر والمعاصي، وما ظلمهم الله أبدًا[64].

و- ضياع الحقوق:

عندما يتحاكمون إلى غير شرع الله، تضيع الحقوق بين المخلوقين ويفسد قضاؤهم: ﴿وَلاَ تَأْكُلُواْ

---

61 انظر: الطبري، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ط1، ج12، ص: 99، 105، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج3، ص: 334-337.

62 انظر: **السعدي**، ط1، ص58.

63 انظر: مجمع الملك فهد، **التفسير الميسر**، ط2، ص٤٢٧.

64 انظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2، ج14، ص251.

أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُون﴾ [البقرة: 188].

﴿وَتُدْلُواْ بِهَا﴾ [البقرة: 188]: تلقوا بالأموال إلى الحكَّام رشوة؛ للوصول إلى الحكم القضائي لصالحكم بالإثم؛ أي: الظلم والتعدي؛ وهو شهادة الزور، أو اليمين الكاذبة الفاجرة أو نحوها؛ فيؤدي ذلك إلى جحد حقوق العباد والحكم بالباطل[65].

ح- الاضطراب والتشتت:

فمَن له آلهة متعددة، فهو مشتَّت في طلب رضا كل إله، وفي تقديم أنواع من العبوديات لكلٍّ منهم، ويخشى مِن غضبهم، فهو في همٍّ دائم وعذاب نفسي متصل؛ لأنه مشتت العزم والقصد والعمل بينهم، يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُون﴾ [الزمر: 29].

ووجه التمثيل أنَّ الله شبَّه حال المشرك الذي يعبد آلهة متعددة، بحال عبد له أكثر من سيد يخدمه ويطيعه، فكلٌّ واحدٍ منهم يأمره بما لا يأمره به الآخر؛ فبعضهم يقول له: افعلْ، وبعضهم يقول له: لا تفعلْ؛ وبعضهم يقول له: أقبلْ، وبعضهم يقول له: لا تقبل؛ فهو حائرٌ في أمرهم، لا يدري أيهم يُرْضي، فإنْ أرضى هذا أغضبَ ذاك، فهو لأجل هذه الحال يعيش في عذابٍ دائمٍ، وتعبٍ مستمرٍّ.

أمَّا مثل حال المؤمن الموحد فقد شبهه سبحانه بحال العبد الذي يعمل تحت إمْرة سيدٍ واحدٍ، فلا أمر لأحدٍ عليه إلا أمر ذلك السيد، ولا نهي لأحدٍ عليه إلا نهي ذلك السيد، فهو مطيعٌ له على كل حال، وهو ساعٍ لكسب وده ونيل رضاه من غير ملالٍ. ثم هو غير مشتت الهوى، ولا مبعثر القوى؛ لأن وجهته واحدة غير متعددة، ومقصوده واحد غير متناقض[66].

ط- زوال النعمة:

من تمام نعمة الله وفضله أنه لا يسلب قومًا نعمةً أنعمها عليهم حتى يكفروا في نعمه ودينه، وضرب الله سبأ مثلًا لذلك، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيل﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُور ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: 15- 17].

---

[65] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، ط2، ج2، ص163.

[66] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن، السعدي**، ط1، ص٧٢٤.

"لما ذكر سبحانه حال بعض الشاكرين لنعمه عَقَّبه بحال الجاحدين لها، فلما وقع منهم الإعراضُ عن شكر النعمة أرسل الله عليهم نقمة سلب بها ما أنعم به عليهم"[67].

ي- ضنك العيش:

تَوَعَّد اللهُ المعرض عنه والكافر بنكد العيش وصعوبة الحياة وشدتها عليه، كأثر لإلحاده وإعراضه عن منهج ربه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: 124]. "المعيشة الضنك: أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيءٍ منها، وله معيشة حرام يركض فيها"(68).

ك- إلقاء الرعب في قلوبهم في الحروب:

وهو من أعظم جُند الله لنصرة المسلمين على الكفار، ومن أشد العقوبات التي تلحق بالكافرين في الدنيا الهزيمة، وعدم تمكينهم من أهل الإسلام، فاللهُ بذلك يُثبِّت المؤمنين ويمنحهم أكتافَ الكافرين كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: 12][69].

ل- حرمانهم من البيت الحرام:

حَرَم الله على المشركين دخول الحرم لنجاستهم، فحُرِّم على كل كافر دخول المسجد الحرام حتى يُسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 28].

"أمر تعالى عباده المؤمنين الطاهرين دينًا وذاتًا بنفي المشركين، الذين هم نجسٌ دِينًا، عن المسجد الحرام، وألا يقربوه بعد نزول هذه الآية. وكان نزولها في سنة تسع؛ ولهذا بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم عليًّا صحبة أبي بكر -رضي الله عنهما- عامئذ، وأمره أن ينادي في المشركين: «أَلا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»[70]، فأتمَّ الله ذلك، وحكم به شرعًا وقدرًا"[71].

---

67 الشوكاني، **فتح القدير**، ط1، ج4، ص367.

68 ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط1، ج3، ص181.

69 السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، ص316.

70 أخرجه البخاري، في **صحيح البخاري**، ط1، كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج مشرك، ج2، ص153، برقم (1622).

71 ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج4، ص131.

م- التخبط في ظلمات الحياة:

المؤمنُ بالله يعيش في حياة نورانيَّة، يسير فيها بخطى ثابتة، والملحد يتخبط في ظلمات الإلحاد والانحراف، ولا يستطيع الخروج منها، فهو لا يشبع من حطام الدنيا؛ قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ [الأنعام: 122].

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: 122] بالكفر فأحييناه بالهدى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ وهو نور الإيمان والقرآن والهدى يتبصر به الحق من غيره، ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ ، وهو الكافر في ظلمات الكفر والجهالة، ﴿كَذَلِكَ﴾ زين للمؤمنين الإيمان كما: ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ من الكفر والمعاصي[72].

ن- شدة حالهم عند الاحتضار ونزع الروح:

وتهينهم الملائكة عند قبض الروح، وتكون الإهانة بضرب الملائكة لأدبارهم ووجوههم لإذلالهم، قال تعالى: ﴿... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُون﴾ [الأنعام:93]، "وذلك أنَّ الكافر إذا احتضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب من الرحمن الرحيم، فتفرق روحه في جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكةُ حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين: ﴿أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُون﴾ [الأنعام: 93] أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله"[73].

س- يُعذبون في قبورهم:

فهذه من العقوبات التي تحدث لهم في الدنيا وهم في حال البرزخ، يقول تعالى حكاية عن حال فرعون وجنوده: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَاب﴾

---

[72] انظر: الزحيلي، **التفسير المنير**، ط2، ج8، ص27.

[73] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج3، ص302.

[غافر: 46]. والمعنى: هم في العذاب المقيم ليل نهار، وتفسير قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: 46]. "أي: يعرضون على هذه النار في الغدو؛ أي: أول النهار، وفي العشي، أي: آخر النهار... وهذا العرض على النار هو في حياتهم البرزخية الواقعة بين الموت والبعث... فهم في هذه الفترة يفزعون بالنار التي سيصيرون إليها يوم القيامة، فيردونها صبحًا وعشيًّا؛ ليروا بأعينهم المنزل الذي سينزلونه يوم القيامة"[74].

ثانيًا: عاقبة الكفر والشرك في الآخرة:

أ- تبرؤ كل ما عُبِدَ من دون الله ممن عبده:

جاء في الكتاب العزيز في آيات عدة أنَّ الآلهة التي عُبدتْ من دون الله تتبرأ من عابديها يوم القيامة، وكذلك الكفار والمشركون يعلنون التبرؤ في ذاك الموقف العظيم ممن عبدوهم في الدنيا، ولكن الإقرار بالتوحيد في يوم القيامة بعد رؤية العذاب لا ينجيهم من تبعات الشرك والكفر في الآخرة، بل يُجازون على افترائهم الشرك وضلالهم عن سبيل الله؛ قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب﴾ [البقرة: 166] أي: تحصل براءة المتَّبَعِين ممن كانوا يَتَّبِعُونهم، ويَدخل في المُتَّبَعِين: أئمة الضلال ومَن عُبِد من دون الله، وتَبَرَّأ الأنداد التي كانوا يعبدونها، والكُهَّان والرُّهْبَان الذين كانوا يطيعونهم، والسادة والرؤساء الذين كانوا يتبعونهم، وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحلت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم، وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبدا، فهل بعد هذا الخسران خسران؟[75].

"﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَاب﴾ الروابط التي كانت بينهم وبين التابعين، وإنما كان ينفعهم في الدنيا لو أنهم آثروا به الحق على الرئاسة والجاه والمنافع التي يستفيدها الرئيس؛ باستهواء المرءوس وإخضاعه له وحمله على اتباعه، أما وقد صدر عن نفوس ترتعد من رؤية العذاب الذي أشرفت عليه بما جنت واقترفت، بعدما تقطعت الروابط والصلات بينها وبين المتبوعين واصطلمتْ، فلا منفعة للمتبرئ تركت فيحمد تركها، ولا هداية للمتبرأ منه ترجى فيحمد أثرها"[76].

---

[74] الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، د. ط، ج12، ص1241.

[75] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، ص79.

[76] رضا، **تفسير المنار، د. ط،** ج2، ص64.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنعام: 22- 24].

فيوم القيامة يُحشر الجميع –العابدين والمعبودين– ثم يُقال للمشركين: أين تلك الآلهة التي عبدتوها من دون الله عَزَّ وجَلَّ؟! أين هي تشفع لكم عند ربكم؟ فما كان جوابهم واعتذارهم وحجتهم إلا أن كذبوا وتبرؤا من معبوداتهم، وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون من الأصنام والآلهة، فلم تشفع لهم ولم تنصرهم، وهم أحوج ما يكونوا للنصرة في ذلك اليوم[77].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَـئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 37].

فهذه الآلهة لن تنفعهم في الآخرة، كما أنها تخذلهم أيضًا في الدنيا في أصعب لحظاتهم؛ وهي عند قدوم الملائكة لقبض أرواحهم فتفزعهم عند الموت وتسألهم: أين الذين كنتم تشركون بهم في الحياة الدنيا؟ وتدعونهم من دون الله عَزَّ وجَلَّ، فادعوهم لينقذوكم مما أنتم فيه، فما يكون جوابهم إلا أن يقولوا: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ [الأعراف: 37] أي: ذهبوا وغابوا عنا، فما نرجو نفعهم ولا خيرهم، وأقروا وشهدوا واعترفوا على أنفسهم ﴿أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 37][78].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: 28].

إلى غير هذه الآيات التي زخر بها القرآن الكريم، هذا وإن آية سورة يونس، وإن كانت تتحدث عن نفس موضوع الآية السابقة؛ إلا أنها غايرت في الأسلوب والمعنى فأفادت جديدًا، حيث أعلنت أن التفرقة بين العابدين والمعبودين ستكون بينهم يوم القيامة، وحينئذ يندم العابدون ندمًا عظيمًا، حيث عقدوا آمالهم طوال حياتهم على هذا، فإذا بهم يجابهون بما لم يكن في الحسبان أو الميزان... فالله تعالى يحشر الخلائق أجمعين من كل حدبٍ وصوبٍ إلى أرض المحشر، ثم ينادى الذين أشركوا في عبادتهم، وفي أموالهم

77 انظر: البغوي، **تفسير البغوي**، ط1، ج2، ص177 بتصرف.

78 انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج3، ص409.

فقالوا: هذا لله، وهذا لشركائنا؛ لذا أضاف الشركاء إليهم في قوله: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم﴾ [يونس: 28][79].

واختلف في المراد بالشركاء: فقيل: هم الملائكة، وقيل: هم الأصنام، ورجح الثاني بأن هذا الخطاب مشتمل على الوعد والوعيد، وذلك لا يليق بالملائكة المقربين، والأصنام يخلق الله فيها الحياة والنطق فتنطق بالحقيقة[80].

ثم ينادى الجميع بقوله: ﴿مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ [يونس: 28]، أي: امكثوا مكانكم، وقفوا في موضعكم، أنتم أيها المشركون وشركاؤكم الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الآلهة والأوثان؛ ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: 28] أي: ففرقنا بين المشركين بالله وما أشركوه به[81].

ولكن "كيف تقع الفرقةُ بينهم وبين الأصنام، والجميع سيحشر إلى النار؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُون﴾ [الأنبياء: 98].

والجواب: أنَّ الفرقة وقعتْ بتبري كل معبودٍ ممن عبده. ويقول الإمامُ ابن عباس رضي الله عنهما: ينطق الله الأوثان فتقول: ﴿ مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُون﴾ [يونس: 28] أي: لا نعلم بعبادتكم لنا؛ لأنه ما كان فينا روح، فيقول العابدون: بل قد عبدناكم، فتقول الآلهة: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِين﴾ [يونس: 29]"[82].

وهكذا يتبرأ العابدون والمعبودون بعضهم من بعضٍ، ويندم العابدون على ما ضيعوا من أعمارهم، وما قدموا من أعمالهم، ولاتَ حين مندم.

ويذكر الله تعالى في سورة النحل موقف المعبودين من عابديهم على غرار الآيات السالفة، إلا أنَّ هذا الموطن تفرد عن غيره بالتصريح بتكذيب الآلهة لعابديها، وجاء هذا التصريح مؤكدًا بأكثر من مؤكدٍ، فأكد بإن، واللام الداخلة على الخبر، فضلًا عن اسمية الجملة، وهذه المؤكدات تواردتْ على شيءٍ واحد فأكسبته توكيدًا فوق تأكيد، وهذا ما ورد في قوله: ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُون﴾ [النحل: 86].

ولقد اختلف في تعيين الشركاء؛ فقيل: هم الأصنام، وقيل: هم الشياطين[83].

---

79 انظر: **مفاتيح الغيب**، ط3، ج17، ص87.

80 انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ط3، ج17، ص87 بتصرف.

81 انظر: **جامع البيان**، ط1، ج15، ص78 بتصرف.

82 ابن الجوزي، **زاد المسير**، ط1، ج4، ص: 20، 21.

83 انظر: **مفاتيح الغيب**، ط3، ج20، ص: 99، 100 بتصرف.

والقرآن بهذه الردود قد دحض حجج المشركين والكفار وفندها وأبطلها، فلن تنفعهم حججهم يوم القيامة ولن تنجيهم من عذاب الله، ولا ينفعهم اعتذار في ذلك اليوم.

ب- الأصنام ومن يعبدها حطب جهنم:

ومن عقوبات الكفر في الآخرة: أن المعبودات وعابديها وقودًا للنار يوم القيامة، وهذه عقوبة أخرى بعد عقوبة الخذلان والتبرؤ، وحينئذ لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنتْ من قبل، ولا يجدي عويل ولا صراخ، ولا استعتاب بعد فوات الأوان.

يذكر الله تعالى هذا الموقف في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُون ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُون ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُون ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنبياء: 98- 100].

وعن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُون﴾ [الأنبياء: 98]، فقال المشركون: الملائكة وعيسى وعزير يُعبدون مِن دون الله؟ فقال: «لو كان هؤلاء الذين يعبدون آلهة ما وردوها»، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون﴾ [الأنبياء: 101] عيسى وعزير والملائكة[84].

فهذه الرواية توضح لنا سبب النزول، والمحاورة التي جرت بين النبي صَلَّى اللهُ عليه وسَلَّم وبين المشركين على لسان مبعوثهم عبد الله بن الزبعرى في شأن المعبودات التي عبدت من دون الله، والتي من بينها عيسى -عليه السَّلامُ- والملائكة الكرام؛ حيث فهم أن هؤلاء سيكونون مع عابديهم في النار مخلدين، لكن جاء الرد في الآية التالية بأن هؤلاء الذين عبدوا من دون لا يدخلون النار مع العابدين؛ لأنهم لم يكونوا راضين بعبادتهم لهم، بل الشيطان هو الذي سوَّل لأنفسهم هذا الشرك من دون الله تعالى.

فضلًا عن أن التعبير في الآية بقوله: ﴿ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: 98].

ولم يقل: «ومن تعبدون» ومعلوم أن «ما» تقع على غير العاقل، فيكون مقصود الآية واقعًا على غير العقلاء.

والمعنى: إنكم أيها العابدون مع الله آلهة غيره: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: 98] أي: وقودها

---

[84] أخرجه الحاكم، واللفظ له، في **المستدرك على الصحيحين**، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأنبياء، ط2، ج2، ص416، برقم (3449)، والطبراني في **المعجم الكبير**، باب أحاديث ابن عباس، أبي رزين عن ابن عباس، ط2، ج12، ص153، برقم (12739)، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ولم يتعقبه الذهبي.

وحطبها. والحكمة في دخول الأصنام النار، وهي جماد لا تعقل، وليس عليها ذنب، بيان كذب من اتخذها آلهة، وليزداد عذابهم بها؛ فلهذا قال: ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُون ﴾ [الأنبياء: 99].

وهذا كقوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَاذِبِين﴾ [النحل: 39].

وكل من العابدين والمعبودين فيها خالدون، لا يخرجون منها، ولا ينتقلون عنها[85].

ج- حبوط أعمال الكافرين جميعها:

الكفر محبط لجميع الأعمال، فمهما عملوا من أعمالٍ صالحةٍ في الدنيا، فلا تنفعهم في الآخرة، بل تحبط كلها، فهم في الدنيا عاملة ناصبة؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ [الأنعام: 88]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ [الأنعام: 88] أي: "لو عبدوا غيري لحبطت أعمالهم؛ ولكني عصمتهم. والحبوط البطلان"[86].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23].

فكل أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرًا لهم وتعبوا فيها،﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: 23].

أي: باطلًا مضمحلًا قد خسروه وحرموا أجره وعوقبوا عليه، وذلك لفقده الإيمان وصدوره عن مكذب لله ورسله، فالعمل الذي يقبله الله، ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسل المتبع لهم فيه[87].

د- خسارة الكافرين لأنفسهم وأهليهم:

فالكافر قد خسر نفسه وأهله يوم القيامة؛ يقول تعالى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين﴾ [الزمر: 15].

فأي خسارة أعظم من أن يخسر الإنسان نفسه في الآخرة ويخسر أهله بدخوله النار فلا يلتقوا بهم أبدًا، فإن كانوا في الجنة فلا يلتقون أبدًا، وإن كانوا في النار فكذلك لا يلتقون[88].

"قال ابن عباس: وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلًا في الجنة وأهلًا، فمَن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل

---

85 انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، ص٥٣١ بتصرف.

86 القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، ج7، ص34.

87 انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ط1، ص581.

88 انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج7، ص90.

بطاعة الله. وقيل: خسران النفس بدخول النار، وخسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله، وذلك هو الخسران المبين"[89].

هـ- يحرم على الكافر والمشرك الجنة:

تحرم عليهم الجنة تحريمًا أبديًّا، فلا يدخلونها ولا يجدون ريحها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:72].

و- خلود صاحب الكفر في النار:

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البيّنة:6].

يخلد الكافر في النار أبدًا، فهي مأواه وبئس المصير الذي صار إليه كل كافر ومشرك ومخالف لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [البينة: 6] أي: ماكثين، لا يحولون عنها ولا يزولون، ﴿أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}[البيّنة:6]، أي: شر الخليقة التي برأها الله وذرأها[90].

أكلهم الزقوم، قال تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ [الصافات:62]

والمعنى: "الزقوم: شجرةٌ مسمومة يخرج لها لبنٌ، متى مس جسم أحدٍ تورم فمات. والتزقم: البلع بشدة وجهدٍ للأشياء الكريهة"[91]. وبيان معنى هذه الآية: "﴿أَذَلِكَ﴾ [الصافات: 62]، أي: ذلك الذي ذكر لأهل الجنة ﴿خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ التي هي نزل أهل النار، والزقوم ثمرة شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، يكره أهل النار على تناولها، فهم يتزقمونه على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقم الطعام إذا تناوله على كرهٍ ومشقةٍ"[92].

ز- شراب الكفار الحميم:

شرابهم الحميم؛ أي: الماء شديد السخونة الذي يقطع أمعاءهم: ﴿...وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ۝١٥﴾ [محمد: 15].

---

[89] البغوي، **تفسير البغوي**، ط1، ج4، ص: 82، 83.

[90] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج8، ص457.

[91] السمين الحلبي، **الدر المصون**، د. ط، ج9، ص314.

[92] البغوي، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ط1، ج4، ص32.

"الحميم: هو الماء الذي تناهى في الحر، وفي التفسير: إنه ماء سعرت عليه نيران جهنم منذ خلقت، فإذا قرَّبه الكافر إلى وجهه للشرب شوى وجهه، وسقطت جلدة وجهه وفروة رأسه"[93].

وثيابهم من النار، قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيم﴾ [الحج:19]، والمعنى: "أي فُصِّلت لهم مقطعات من النار، قال سعيد بن جبير: من نحاس، وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيم ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُود ﴿٢٠﴾﴾ [الحج: 19، 20] أي: إذا صب على رءوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة، وقال سعيد بن جبير: هو النحاس المذاب، أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء (قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم)، وكذلك تذوب جلودهم"[94].

ح- **عدم قبول الفدية من الكافرين:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾ [المائدة: 36]، والفدية: إعطاء شيء للإنقاذ[95].

ومعنى الآية: أنَّ الله لا يقبل من الكفار يوم القيامة طلب افتدائهم من العذاب. لو أن أحدهم جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا، وبمثله ليفتدي بذلك من عذاب الله الذي قد أحاط به، وتيقن وصوله إليه، ما تقبل ذلك منه، بل لا مندوحة عنه ولا محيص له ولا مناص[96].

ط- الخذلان والحرمان من النصير:

يوم القيامة لا يجد الظالم من ينجيه من عذاب الله، ولو كان أقرب قريب، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاع﴾ [غافر: 18]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ﴾، أي: قريب ولا صاحب، ﴿وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاع﴾ لأن الشفعاء لا يشفعون في الظالم نفسه بالشرك، ولو قدرت شفاعتهم، فالله تعالى لا يرضى شفاعتهم، فلا يقبلها[97].

---

[93] السمعاني، **تفسير القرآن**، ط1، ج 5، ص174.

[94] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، ج5، ص406.

[95] الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز**، د. ط، ج4، ص177.

[96] انظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص105.

[97] انظر: السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ط1، ص735.

ي- سواد وجوه الكافرين يوم القيامة:

من عقوبات الله للكافرين يوم القيامة، جعل وجوههم مسودة كالحة عليها القترة، يُعرفون يوم المحشر بسواد الوجوه أنهم أهل الكفر، عياذًا بالله، يقول تعالى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: 60].

الخاتمة

بعد أن يَسَّر الله -عَزَّ وجَلَّ- إتمام هذه البحث أُبَيِّن أَهَمَّ النتائج التي تَوَصَّلْتُ إليها:

1- اهتم القرآن الكريم بمحاربة الكفر اهتمامًا بالغًا، فما مِن سورة في القرآن الكريم إلا وحَذَّرَت من الكفر والشرك بالله -عَزَّ وجَلَّ- بأساليب مختلفة.

2- جادل القرآنُ الكفارَ والمشركين بالحُجج والبراهين القوية الدامغة لما هم عليه من الباطل، والأساليبِ المقنعة.

3- الكفرُ أنواع كثيرة؛ منها ما هو مخرج من الملة، ومنها ما هو ليس بمخرج من الملة ولكن صاحبه على خَطر عظيم إن لم يقلع عنه ويَتب منه قبل موته.

4- ذكر القرآن الكريم وسائل القضاء على الكفر وأسبابه، ووجب العمل بها للحَدِّ من انتشاره.

5- الكفر آثارُه وخيمة مُدمرة في الدنيا والآخرة.

6- يجب تكثيفُ مادة التوحيد في مناهج الدِّين الدراسية من رياض الأطفال وحتى الجامعة؛ ليَخرج جيلٌ ثابتُ الإيمان قويُّ العقيدة لا تُزعزعه الفتن.

7- يجب على وُلاة الأمر حَثُّ العلماء والمعلمين ووسائل الإعلام على بيان الشرك والكفر بتفاصيله للناس؛ لأنَّ الخطأ في العقيدة لا يَغفره الله عَزَّ وجَلَّ؛ قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [سورة النساء:48].

(المصادر والمراجع) REFERENCES

[1] al'athari, eabd allh bin eabd alhamidi, al'iiman haqiqathu, khawarimuhu, nuaqiduh eind 'ahl alsunat waljamaeati, murajaeat wataqdimu: fadilat alshaykh alduktur/ eabd alrahman bin salih, alnaashir: madar alwatan lilnashri, alriyad, altabeat al'uwlaa, 1424hi- 2003m.

[2] al'albani, muhamad nasir aldiyn, sahih sunan altirmidhi, maktabat almaearifi, altabeat al'uwlaa: 1419- 1998.

[3] albukhari, muhamad bin 'iismaeil 'abu eabd allah aljaeafi, sahih albukhari, almuhaqaqa: muhamad zuhayr bin nasir alnaasir, alnaashir: dar tawq alnajaat musawarat ean alsultaniat bi'iidafat tarqim muhamad fuad eabd albaqi, altabeat al'uwlaa, 1422hi.

[4] albghwy, muhyi alsanat, 'abu muhamad, alhusayn bin maseud bin muhamad bin alfara', alshaafieii, maealim altanzil fi tafsir alqurani, haqaqah wakharaj 'ahadithah muhamad eabd allah alnamir- euthman jumeatan damiriat-sulayman muslim alharash, alnaashir: dar tiibat lilnashr waltawziei, altabeat alraabieati, 1417hi- 1997m.

[5] altirmidhi, muhamad bin eisaa, sunan altirmidhi, haqaqah wakharaj 'ahadithah waealaq ealayhi: bashaar eawad maeruf, alnaashir: dar algharb al'iislami, bayrut, altabeat al'uwlaa, 1996m.

[6] alttmimi, eabd alrahman bin hasan bin muhamad bin eabd alwahaab bin sulayman, fath almajid sharh kitab altawhidi, almuhaqaqa: muhamad hamid alfaqi, alnaashir: matbaeat alsanat almuhamadiati, alqahirata, masr, altabeat alsaabieati, 1377hi- 1957m.

[7] abn taymiat alharaani alhanbali aldimashqi, taqi aldiyn, 'abu aleabaas; 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam bin eabd allah bin 'abi alqasim bin muhamad, majmue alfatawaa, almuhaqaqi: eabd alrahman bin muhamad bin qasimi, alnaashir: majamae almalik fahd litibaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, almamlakat alearabiat alsaeudiati, eam alnashri: 1416h- 1995m.

[8] abn taymiat alharaani alhanbali aldimashqi, taqi aldiyn, 'abu aleabaas; 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam bin eabd allah bin 'abi alqasim bin muhamad, qaeidat jalilat fi altawasul walwasilati, almuhaqiqa: rabie bin hadi eumayr almadkhali, alnaashir: maktabat alfirqan- eajman, altabeat al'uwlaa (limaktabat alfirqan) 1422h- 2001h.

[9] abn taymiat alharaani, taqi aldiyn, 'abu aleabaas 'ahmad bin eabd alhalim bin eabd alsalam bin eabd allah bin 'abi alqasim bin muhamad, alhanbali aldimashqi, alradu ealaa almantiqiayna, alnaashir: dar almaerifati, bayrut, lubnan, da. ta, du. t.

[10] aljawi, nawawi, muhamad bin eumra, mirah libid likashf maenaa alquran almajid, almuhaqaqi: muhamad 'amin alsinawi, alnaashir: dar alkutub aleilmiati- bayrut, altabeat al'uwlaa- 1417hi.

[11] jilghum, eabd allah 'iibrahimi, almuejam almufahris alshaamil li'alfaz alquran alkarimi, markaz tafsir aldirasat alquraniati, sanat alnashri: 2005m 1426h.

[12] abin aljuzi, jamal aldiyn, 'abu alfaraj eabd alrahman bin eulay, zad almasir fi eilm altafsir, almuhaqaqi: eabd alrazaaq almahdi, dar alkutaab alearabi, bayrut, altabeat al'uwlaa, 1422hi.

[13] abin aljuzi, jamal aldiyn, 'abu alfaraj eabd alrahman bin eulay, nuzhat al'aeyun alnawaziri, almuhaqaqa: muhamad eabd alkarim kazim alraady, alnaashir: muasasat alrisalati- lubnan- bayrut, altabeat al'uwlaa, 1404hi-1984m.

[14] alhakim alnnysaburi, muhamad bin eabd allah bin muhamad bin hamduyh bin naeaym bin alhakam aldabiu altahmani, almaeruf biaibn albyie, almustadrak ealaa alsahihayni, tahqiqu: mustafaa eabd alqadir eata, alnaashir: dar alkutub aleilmiati- bayrut, altabeat al'uwlaa, 1411hi- 1990m.

[15] abin hazam al'andalsi alqurtubiu alzaahiri, 'abu muhamad eali bin 'ahmad bin saeida, alfasl fi almalal wal'ahwa' walnahla, alnaashir: maktabat alkhanji-alqahirata, da. ta, du. t.

[16] alhukami, hafiz bin 'ahmad bin eulay, 'aelam alsanat almanshurat liaietiqad altaayifat alnaajiat almansurati, tahqiqu: hazim alqadi, alnaashir: wizarat alshuwuwn al'iislamiat wal'awqaf waldaewat wal'iirshadi- almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeat althaaniatu, 1422h.

[17] alkhatib, eabd alkarim yunus, altafsir alquraniu lilqurani, alnaashir: dar alfikr alearabii, alqahirata, da. ta, du. t.

[18] aldaamghani, alhasan bin muhamadi, qamus alqurani, 'aw 'iislah alwujuh walnazayir fi alquran alkarimi, almuhaqaqa: eabd aleaziz sayid al'ahla, dar alnashru, dar aleilm lilmalayini, bayrut, altabeat althaalithata, sanat altabei, 1980.

[19] alraazi, abn 'abi hatama, 'abu muhamad, eabd alrahman bin muhamad bin 'iidris bin almundhir altamimi, alhanzali, tafsir abn 'abi hatim, almuhaqaqa: 'asead muhamad altayib, alnaashir: maktabat nizar mustafaa albazi, almamlakat alearabiat alsaeudiati, altabeat althaalithati, 1419h.

[20] alraazi, 'abu alhusayn, 'ahmad bin faris bin zakaria' alqazwini, maqayis allughati, almuhaqiqa: eabd alsalam muhamad harun, alnaashir: dar alfikri, 1399hi- 1979m.

[21] alrazy, zayn aldiyn 'abu eabd allah muhamad bin 'abi bakr bin eabd alqadir alhanafii, mukhtar alsahahi, almuhaqaqa: yusif alshaykh muhamad, alnaashir: almaktabat aleasriatu- aldaar alnamudhajiatu, bayrut- sayda, altabeat alkhamisati, 1420hi- 1999m.

[22] alraazi, fakhr aldiyn, 'abu eabd allh muhamad bin eumar bin alhasan bin alhusayn altaymi, mafatih alghayb = altafsir alkabiru, alnaashir: dar 'iihya' alturath alearabi- bayrut, altabeat althaalithata- 1420hi.

[23] alraghib al'asfahani, 'abu alqasim alhusayn bin muhamad, almufradat fi ghurayb alqurani, almuhaqaqi: safwan eadnan aldaawudi, alnaashir: dar alqalami, aldaar alshaamiati- dimashqa, bayrut, altabeat al'uwlaa- 1412hi.

[24] alzuhayli, wahabatu, altafsir almunir fi aleaqidat walsharieat walmanhaji, dar alfikr (dimashqa- suriata), dar alfikr almueasir (birut- lubnan), altabeat al'uwlaa, 1411hi- 1991m.

[25] alzamakhshari, jar allah, 'abu alqasima; mahmud bin eamriw bin 'ahmadu, alkashaaf ean haqayiq ghawamid altanzil, alnaashir: dar alkitaab alearabii- bayrut, altabeat althaalithata- 1407h.

[26] alsaedi, 'abu eabd allah, eabd alrahman bin nasir bin eabd allh bin nasir bin hamdu, alqawl alsadid fi maqasid altawhidi, alnaashir: wizarat alshuwuwn al'iislamiat wal'awqaf waldaewat wal'iirshadi- almamlakat alearabiat alsaeudiat, altabeat althaaniatu, 1421h.

[27] alsaedi, eabd alrahman bin nasir bin eabd allah, taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almanani, almuhaqaqi: eabd alrahman bin maeala alllwayhaqi, alnaashir: muasasat alrisalati, altabeat al'uwlaa, 1420hi- 2000m.

[28] alsaedi, eabd alrahman bin nasir, al'iirshad 'iilaa maerifat al'ahkami, altabeat al'uwlaa, dar alnashri: alsueudiati, dar almiman, 1432h 2011m.

[29] alsimeani, 'abu almuzafar, mansur bin muhamad bin eabd aljabaar bin 'ahmad almaruzii altamimiu alhanafiu thuma alshaafieay, tafsir alqurani, almuhaqaqi: yasir bin 'iibrahim waghanim bin eabaas bin ghunimi, dar alwatanu, alrayad, alsaeudiati, altabeat al'uwlaa, 1418hi- 1997m.

[30] alsamin alhalbi, 'abu aleabaasi, shihab aldiyn, 'ahmad bin yusif bin eabd aldaayimi, aldir almasun fi eulum alkitaab almaknuna, almuhaqiqi: alduktur 'ahmad muhamad alkharati, alnaashir: dar alqalami, dimashqa, da. ta. du. t.

[31] alshanqiti, muhamad al'amin bin muhamad almukhtar aljakni, 'adwa' albayan fi 'iidah alquran bialqurani, dar eata'at aleilam (alriyadu)- dar aibn hazam (birut), altabeati: alkhamisati, 1441hi- 2019m.

[32] alshwkani, alyamani, muhamad bin ealiin bin muhamad bin eabd allah, fath alqadir, alnaashir: dar abn kathirin, dar alkalm altayibi- dimashqa, bayrut, altabeat al'uwlaa- 1414hi.

[33] sufi, eabd alqadir bin muhamad eataa, almufid fi muhimaat altawhida, dar al'aelami, altabeat al'uwlaa, 1422hi- 1423hi.

[34] altaahir bin eashur altuwnisi, muhamad altaahir bin muhamad bin muhamad, altahrir waltanwiru, aldaar altuwnusiat lilnashri- tunis, da. tu, 1984hi.

[35] altabrani, 'abu alqasami, sulayman bin 'ahmad bin 'ayuwb bin mutayr allakhmi alshaami, almuejam alkabira, almuhaqaqa: hamdi bin eabd almajid alsalafi, dar alnashra: maktabat aibn taymiati- alqahirati, altabeat althaaniatu.

[36] altabri, 'abu jaefar, muhamad bin jirir, jamie albayan ean tawil ay alquran, tawziei: dar altarbiat waltarathi- makat almukaramati, da. ta, du. t.

[37] eashur, saed eabd allah, altibyan sharh 'arkan alayman, altabeat alraabieata, ghazat, filastin, maktabat altaalib aljamieii, 2009, khanius, maktabat aljanub almarkaziati.

[38] abin eabd alwahaabi, sulayman bin eabd allah bin muhamad, taysir aleaziz alhamid fi sharh kitab altawhid aladhi hu haqu allah ealaa aleubidi, almuhaqiqi: zuhayr alshaawish, alnaashir: almaktab alaslamia, bayrut, dimashqa, altabeat al'uwlaa, 1423hi- 2002m.

[39] aleuthaymin, muhamad bin salihi, alqawl almufid ealaa kitab altawhidi, alnaashir: dar aibn aljuzi, almamlakat alearabiat alsueudiati, altabeat althaaniati, eam 1424h.

[40] alfiruzabadaa, majd aldiyn, 'abu tahir, muhamad bin yaequba, basayir dhawi altamyiz fi litayif alkutaab aleaziza, almuhaqaqa: muhamad eali alnajar, alnaashir: almajlis al'aelaa lilshuwuwn al'iislamiat - lajnat 'iihya' alturath al'iislami, alqahira. du, t.

[41] alfiumi, 'ahmad bin muhamad bin eulay, almisbah almunir fi ghurayb alsharh alkabira, alnaashir: almaktabat aleilmiati- birut. da. ta, du. t.

[42] alqasama, eabd almuhsin bin muhamadi, taysir alwusul sharh thalathat al'usula, du. na, altabeat althaalithati, sanat al'iisdari: 2020m- 1441hi.

[43] alqasmi, muhamad jamal aldiyn bin muhamad saeid bin qasim alhalaaqi, mahasin altaawili, almuhaqaqi: muhamad basil euyun alsuwdi, alnaashir: dar alkutub aleilmiati- bayrut, altabeat al'uwlaa- 1418hi.

[44] alqurtibi, 'abu eabd allah, muhamad bin 'ahmad al'ansari, aljamie li'ahkam alqurani, tahqiqu: 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almisriatu- alqahirati, altabeat althaaniatu, 1384hi- 1964m.

[45] alqareawi, sulayman bin salihin, alwujuh walnazayir fi alquran alkarimi, maktabat alrushd lilnashr waltawziea, da. tu, 1410- 1990m.

[46] alqalmuni alhusayni, muhamad rashid bin eali rida bin muhamad shams aldiyn bin muhamad baha' aldiyn bin minla eali khalift, tafsir almanari, alnaashiru: alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, da. ta, 1990m.

[47] abin qiam aljawziat, shams aldiyn, 'abu eabd allah, muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed alzarei aldimashqi, 'iighathat allahfan fi masayid alshaytan, haqaqahu: muhamad euzir shams, kharaj 'ahadithahu: mustafaa bin saeid 'iitim, rajaeha: sulayman bin eabd allah aleumayra- muhamad 'ajmal al'iislahi, dar eata'at alealam (alriyadu)- dar aibn hazam (biruta), altabeat althaalithata, 1440 ha- 2019 m (al'uwlaa lidar aibn hazm).

[48] abin qiam aljawziati, shams aldiyn, 'abu eabd allah, muhamad bin 'abi bakr bin 'ayuwb bin saed alzareii aldimashqi, madarij alsaalikin bayn manazil {'iiak naebud wa'iiaak nastaein}, alnaashir: dar eata'at aleilam (alriyadu)- dar aibn hazam (biruta), altabeat althaaniati, 1441 ha- 2019 m (al'uwlaa lidar aibn hazm).

[49] abin kathir alqurashiu albasariu thuma aldimashqi, 'abu alfida', 'iismaeil bin eumr, qisas al'anbia'i, tahqiqu: mustafaa eabd alwahid, alnaashir: matbaeat dar altaalif- alqahirati, altabeat al'uwlaa, 1388 ha- 1968m.

[50] abin kathir, 'abu alfida' 'iismaeil bin eumar alqurashii albasariu thuma aldimashqi, tafsir alquran aleazimi, almuhaqaqa: muhamad husayn shams